ثوابتُ الأمن الفكري في القرآن الكريم
شعيرةُ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر
أنموذجاً

إعداد الدكتورة

إيمان بنت عبد الله بن عمر العمودي

الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه

بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

ثوابتُ الأمن الفكري في القرآن الكريم شعيرةُ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر أنموذجاً

إيمان بنت عبد الله بن عمر العمودي
قسم القرآن الكريم وعلومه ، كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني:Dr.EmanAlAmoudi@gmail.com

الملخص :
يكفل الدين الإسلامي للمجتمع الإنساني عامة، وللمجتمع المسلم خاصة، كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار، تتجلى له المخاطر المحدقة بالفرد والمجتمع عموماً، ومع الانفتاح العالمي الذي نعايشه خصوصاً، والذي نتج عنه تدفقٌ غزير للأفكار والثقافات، وتعددٌ لمشاربها ومصادرها، وفي كل وقت وحين، الأمر الذي يحتم على المسلم الحصيف أن يصب اهتمامه على تحصين فكره وفكر من استرعاه الله عليهم من اللوث الفكري الدخيل على ثوابتنا، ولا يقبل فيها المساومة ولا المساس بها .
ولما كان مصدر هذه الثوابت هو القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، كان حرياً بالباحثين استنباطها من القرآن والسنة، ودراستها، وتعلمها وتعليمها .
وإن من أعظم هذه الثوابت في القرآن الكريم : شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فآثرتُ أن أخوض الغمار، وأزيل الأستار في هذا البحث اليسير عن هذا الجانب القيم، وعنونتُ له بـ : **ثوابتُ الأمن الفكري في القرآن الكريم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنموذجاً**
ومن أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره : إبراز أهمية الأمن الفكري، فالفكر والأمن متلازمان ،واستنباط أبرز ثوابت الأمن الفكري من القرآن الكريم، فمعرفةُ الثوابت تعين على التمسك بها .ونشر الوعي الفردي والمجتمعي بهذه الثوابت وصولاً لتحقيقها .
ومن أهداف البحث : الربط بين أهمية الأمن الفكري من جهة وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى، كأحد ثوابت الأمن الفكري في القرآن الكريم . التذكير برسوخ هذه الشعيرة في القرآن الكريم، كثابت من ثوابت

الأمن، وأهميتها في تحقيق الأمن الفكري. إبراز أثر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر الإنساني .

الكلمات المفتاحية: ثوابت، الأمن الفكري، القرآن الكريم ، شعائر، الأمر بالمعروف.

The Rite of enjoining good and forbidding evil as a model

Iman bint Abdullah bin Omar Al-Amoudi
Department of the Holy Quran and Science, Faculty of Religious Origins of Imam Mohammed Bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.
Email: Dr.EmanAlAmoudi@gmail.com

Abstract:
The Islamic religion for the human society in general, and Muslim society in particular, guarantees all of the factors of happiness, security, and stability. During the global openness, we are experiencing in particular cultures ", which resulted in an abundant influx of ideas and cultures, and a multiplicity of their suppliers and resources every moment. This obliges the good Muslim to focus on keeping his thought and the thought of people that he is responsible for from any bad intruder concepts to our constants refusing any form of bargaining or compromising.
The Quran and Sunnah are the resource of these constants through the concepts of the ancestors, so the researchers should deduce them from Quran and Sunnah, study, learn, and teach them.
One of the greatest constants in the Holy Quran is: The rite of enjoining good and forbidding evil, so I prefer to take the risk and present this research and this valuable topic under the title of: Intellectual security constants in the Holy Quran, The Rite of enjoining good and forbidding evil as a model.

The importance of this topic and the reasons for choosing it are: to highlight the importance of intellectual security as thought and security are intertwined. It also deduces the most prominent constants of intellectual security from the Holy Quran.

Keywords: Constants, Intellectual Security, Holy Quran, Rituals. enjoining good.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله سابغِ النعم، دافع النقم، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فلقد عم الإسلامُ الكون بالخير والرحمة والوسطية والاعتدال، ولقد خير المسلم بين النجدين، ولا يحجب عنه الحقيقة، ويحمله عاقبة أفعاله الناجمة عن أفكاره .

والإسلام بما حواه من هداية إلهية، وسنة نبوية، يكفل للمجتمع الإنساني عامة، وللمجتمع المسلم خاصة، كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار، لكن المتفكر . سيما في هذه الحقبة الزمنية التي نحيا فيها . تتجلى له المخاطر المحدقة بالفرد والمجتمع عموماً، ومع الانفتاح العالمي الذي نعايشه خصوصاً، والذي نتج عنه تدفقٌ غزير للأفكار والثقافات، وتعددٌ لمشاربها ومصادرها، وفي كل وقت وحين، الأمر الذي يحتم على المسلم الحصيف أن يصب اهتمامه على تحصين فكره وفكر من استرعاه الله عليهم من اللوث الفكري الدخيل على ثوابتنا، ولا يقبل فيها المساومة ولا المساس بها .

ولما كان مصدر هذه الثوابت هو القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، كان حرياً بالباحثين استنباطها من القرآن والسنة، ودراستها، وتعلمها وتعليمها .

وإن من أعظم هذه الثوابت في القرآن الكريم : شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فآثرتُ أن أخوض الغمار، وأزيل الأستار في هذا البحث اليسير عن هذا الجانب القيم، وعنونتُ له بـ :

ثوابتُ الأمن الفكري في القرآن الكريم
شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنموذجًا

فأسأل الله تعالى أن يصلح النية والعمل، ويبلغنا المقصد والأمل، هذا والله أعلى وأعلم، وصلى اللهُ على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١/ إبراز أهمية الأمن الفكري، فالفكر والأمن متلازمان .

٢/ استنباط أبرز ثوابت الأمن الفكري من القرآن الكريم، فمعرفةُ الثوابت تعين على التمسك بها .

٣/ نشر الوعي الفردي والمجتمعي بهذه الثوابت وصولاً لتحقيقها .

مشكلة البحث :

يسلط البحث الإجابة على التساؤلات التالية :

١/ ماهي الثوابت التي لا تتغير في كل زمان ومكان والتي لا يستقيم بدونها الأمن الفكري كما نص عليها القرآن الكريم .

٢/ ماهو أثر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على تحقيق الأمن الفكري .

أهداف البحث :

١/ الربط بين أهمية الأمن الفكري من جهة وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى، كأحد ثوابت الأمن الفكري في القرآن الكريم .

٢/ التذكير برسوخ هذه الشعيرة في القرآن الكريم، كثابت من ثوابت الأمن، وأهميتها في تحقيق الأمن الفكري.

٣/ إبراز أثر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر الإنساني.

الدراسات السابقة :

الدراسات السابقة في الأمن الفكري كثيرة بل متكاثرة، وهي أكثر من أحصيها أو أعرج على بعضها في هذه المقدمة، وأكتفي بوثيق الصلة منها بعنوان هذا

البحث، حيث لم أقف على ما هو وثيق الصلة منها به . على تقصير مني . إلا ما يلي :

١/ (منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الفكري – دراسة موضوعية)، لنذير نبيل الشرايري، وهي رسالة ماجستير، من جامعة اليرموك بالأردن، نوقشت عام ١٤٣٢.

والفرق بين محتواها ومحتوى هذا البحث أن الباحث أسهب في تحرير المفهوم، ودرس دعائم الأمن الفكري في القرآن الكريم على النحو الذي يخدم الصلة بين الأمن الفكري وأنواع الأمن الأخرى، واعتنى بنوعين منها وهما : الأمن النفسي، والأمن الاقتصادي .

وأما في هذا البحث تأتي العناية بالصلة بين الأمن الفكري، وشعيرة الأمر المعروف والنهي عن المنكر .

٢. (أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن الفكري دراسة عقدية) لناصر بن عبد الكريم العقل، وهو بحث محكم لدى مركز الدراسات والبحوث التابع للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المنشور في المجلد الخامس ضمن النشر العلمي لندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها، المنعقدة في ربيع الثاني من عام ١٤٣٤هـ .

والفرق باختصار : أنها دراسة عقدية، تطرقت للفرق والطوائف، والموضوع الذي بين يدي هو دراسة قرآنية، استقى الطرح من وحي آيات القرآن الكريم .

٣.(الأمن الفكري وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، البرامج والوسائل)، لعبد الله أبو دجين السهلي، وهو بحث محكم لدى مركز الدراسات والبحوث التابع للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقدم في ندوة بعنوان: الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها، المنعقدة في ربيع الثاني من عام ١٤٣٤هـ .

والفرق بينه وبين هذا البحث : يتجلى من عنوانه، حيث وجه الباحث بحثه نحو الإجراءات والجهود المبذولة من جهاز الهيئة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر تجاه مسؤولية الأمن الفكري، وتحديداً في البرامج والوسائل، وأما البحث الذي بين يدي، فموضوعي استنباطي من القرآن الكريم .

خطة البحث (تقسيماته) :

انتظم عقد هذا البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس على النحو التالي :

المقدمة، وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وحدود البحث، ومنهج البحث .

التمهيد، وفيه :

التعريف بأهم مصطلحات عنوان البحث .

الفصل الأول : ثوابتُ الأمنِ الفكري في القرآن الكريم، وتحته ستة مباحث :

المبحث الأول : توحيد اللهِ تبارك وتعالى .

المبحث الثاني : توحيد منهج التلقي وتسليمُ الجميعِ للنص الشرعي .

المبحث الثالث : تحصين العقل قبل صدور الأفعال، وعند ردود الأفعال، وفيه سبع مسائل :

المسألة الأولى : حصن العلم، والدعوة إليه، والترغيب فيه .

المسألة الثانية : حصنُ القواعد العقلية لفكرٍ سديد .

المسألةُ الثالثة : حصن المسؤولية الفردية، بتحميل المرء جناية العقل على السلوك .

المسألة الرابعة : حصن التثبت في الرواية .

المسألة الخامسة : حصن صدِّ الشائعات .

المسألة السادسة : حصن الإنصاف والتفكر، وإعمال الفكر الناقد .

المسألة السابعة : حصن التبصر وطلب البينة .

المبحث الرابع : التنبيهُ إلى منابع الغواية والتحذيرُ من مسالكها، وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : ذم الغلو والتنطع .

المسألة الثانية : ذم اتباع الهوى وتأليهه .

المسألة الثالثة : ذم الجليس السيئ بالأمر بالإعراض عنه، والنهي عن مجالسته وطاعته .

المبحث الخامس : التأكيد على ركائز الهدايةِ ومجامعها، وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : سؤال الله الهداية .

المسألة الثانية : التمسك بهدي النبي ﷺ.

المبحث السادس : شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفصل الثاني : شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر الإنساني وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : أهمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهان للفكر الإنساني .

المبحث الثاني : مقاصد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر الإنساني .

المبحث الثالث : مفاهيم مغلوطة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجه نحو الفكر الإنساني والرد عليها .

المبحث الرابع : أثر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن الفكري .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس : وسأقتصر فيها على فهرس الموضوعات .

حدود البحث :

لا أدعي استيفاء جميع ثوابت الأمن الفكري في القرآن الكريم، ولكني أتعرض لأبرزها وأشملها وفق المنهج الاستنباطي الموضوعي بما يناسبُ المقام في البحوث المحكمة.

منهج البحث وإجراءاته :

. سرتُ في هذا البحث على المنهج الموضوعي الاستنباطي ، بالخطوات التالية:

١. أذكر في بداية كل مبحث عنوان الثابت المستنبط من القرآن الكريم للأمن الفكري .

٢. أذكر صورته وبيانها، وبعض الشواهد عليها من القرآن الكريم .

٣. أذكر أقوال جمع من كبار المفسرين حول هذه الشواهد بما يتمم بيان الصورة لهذا الثابت .

٤. عزو الآيات إلى سورها وأرقامها في صلب البحث .

٥. تخريج الأحاديث، إن وجدت، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا خرجته من مظانه، وذكرت كلام أهل العلم في حكمهم عليه .

٦. عزو الأقوال إلى قائليها بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة، باختصارِ بعضِ الأسماء المطولة للتفاسير، ولا أذكر اسم المؤلف في الحاشية إلا عند وجود احتمال الاشتباه .

٧. الترجمة للأعلام غير المشهورين، الوارد ذكرهم في صلب البحث عند أول ورود لهم، وضابط الشهرة هنا : هو الترجمة لكل من عدا الأنبياء والخلفاء الراشدين .

وفي خاتمة هذه المقدمة، أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن اشتغل بالقرآن، فرضي عنه وأرضاه، وأسعده به وأغناه، وأن يصب القرآن في قلوبنا صباً، ويرزقنا فقهه وفهمه والعمل به وهداه .

آمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

أولاً : التعريف اللغوي لأهم مصطلحات عنوان :

أ/ الثوابت .

الثوابتُ جمع ثابت، وهو من : ثَبَتَ يَثْبُتُ ثباتاً، فهو ثابِتٌ، وجذره اللغوي يدل على الدوام والاستقرار وديمومةُ الإقامة .

قال ابن فارس [١]: "(ثبت) الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، يقال: ثبت ثباتا وثبوتا"[٢].

وفي معجم متن اللغة : "ثبت ثباتًا وثبوتًا الشئ: دام واستقر، فهو ثابت وثبيت وثبت، و– عليه: كذلك"[٣].

وفي المعجم الوسيط : (ثبت ثباتا وثبوتا استقر ويقال ثبت بالمكان أقام والأمر صح وتحقق ... و(الثبت) الحجة والصحيفة يثبت فيها الأدلة) [٤].

ب / الأمن .

الجذر اللغوي للكلمة يفيد بحصول السكون والطمأنينة من حصول المكاره .

قال ابن فارس : "(أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما

---

(١) هو العلامة، اللغوي، المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، مولده بقزوين، ومرباه بهمذان، وأكثر الإقامة بالري، وكان رأسا في الأدب، بصيرا بفقه مالك، مناظرا متكلما، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر، له مصنفات ورسائل، جامع التأويل في تفسير القرآن أربع مجلدات، كتاب سيرة النبي ﷺ، كتاب أخلاق النبي ﷺ، كتاب المجمل في اللغة، ومقاييس اللغة، وغيرها، ومات بالري في صفر سنة ٣٩٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء: (١٠٣/١٧)، وطبقات المفسرين، للسيوطي: (٢٦)

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس : (٣٩٩/١).

(٣) معجم متن اللغة، أحمد رضا : (٤٢٢/١).

(٤) انظر : المعجم الوسيط، أحمد الزيات وآخرون : (٩١/٣).

قلنا متدانيان، قال الخليل[١]: الأمنة من الأمن، والأمان إعطاء الأمنة. والأمانة ضد الخيانة"[٢].

ج/ الفكر.

الجذر اللغوي للكلمة يفيد بأن الفكر واحدُ الأفكار، وهي المفاهيم التي تنشأ عن إعمال القلب في الأمور والاعتبار والنظر .

قال ابن فارس: "فكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر"[٣].

وقال ابن منظور[٤] : الفِكْرُ : إعْمال الخاطر في الشَّيء[٥].

ثانياً : التعريف الاصطلاحي لمركب :الأمن الفكري .

هو تحصين العقل ومفاهيمه والطمأنينة على سلامته من المخاطر والانحرافات في الفرد والمجتمع .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفَراهيديُّ، كان ذكيًّا فطنًا شاعرًا، واستنبط من العَرُوض ومن عِلَل النحو ما لم يستنبط أحد، من مؤلفاته : كتاب العين، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، توفي في البصرة بشهر جمادى الآخرة سنة ١٧٠ للهجرة، انظر : طبقات النحويين واللغويين : (ص٤٧)

(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس: (١٣٣/١) .

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس : (٤٤٦/٤) .

(٤) هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر، ثم ولي القضاء في طرابلس، من مؤلفاته الكثيرة: «لسان العرب»، و«مختصر مفردات ابن البيطار»، و«نثار الأزهار في الليل والنهار»، توفي سنة ٧١١هـ، انظر: الدرر الكامنة: (١٥/٦)، وبغية الوعاة: (٢٤٨/١)، والأعلام، للزركلي: (١٠٨/١).

(٥) لسان العرب، ابن منظور : (٦٥/٥) .

ثالثاً : التعريف الاصطلاحي لمركب : ثوابت الأمن الفكري .

هي القواعد الراسخة المستقرة الدائمة التي تضبط العقل ومفاهيمه، ويتحقق بها تحصينه ضد المخاطر، وتحصل بها الطمأنينة على سلامته من الانحرافات لدى الفرد والمجتمع .

وبمجمل النظر والربط بين الاصطلاحات اللغوية والتعريفات التركيبية لمصطلح البحث الرئيس، نجد أن العلاقة واضحة جلية تدور حول الثبات والاستقرار(ثوابت)، وحصول الطمأنينة إلى التحصن من الخطر(الأمن)، ومجاله هنا : إعمال الخاطر في الشيء (الفكر)

الفصلُ الأولُ
ثوابت الأمن الفكري في القرآن الكريم

توطئة :

لما كان ديننا الحنيف صالحاً لكل زمان ومكان، وكمله الله تعالى وأتم نعمته، وجعل تباينه بالوحيين : الكتاب والسنة، فإننا نجد فيه الثوابت التي لا تتبدل ولا تتغير على مر الأزمان العصور، ومن هذه الثوابت : ثوابت الأمن الفكري، لفكر سليمٍ ومجتمعٍ آمن، وفي المباحث الستة التالية، أعرج على أبرز هذه الثوابت وهي :

المبحث الأول : توحيد اللهِ تبارك وتعالى .

المبحث الثاني : توحيد منهج التلقي وتسليمُ الجميعِ للنص الشرعي .

المبحث الثالث : تحصين العقل قبل صدور الأفعال، وعند ردود الأفعال .

المبحث الرابع : التنبيهُ إلى منابع الغواية والتحذيرُ من مسالكها .

المبحث الخامس : التأكيد على ركائز الهدايةِ ومجامعها .

المبحث السادس : شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وباللهِ التوفيق .

المبحث الأول : توحيد اللّهِ تبارك وتعالى .

القاعدة الكبرى للأمن الفكري، أسَّسَها القرآن، فأرساها راسخةً ثابتةً ليقوم عليها البنيان، وهي قاعدة التوحيد.

فالأمن الفكري هو صمام الأمان للأمن المجتمعي من جميع جوانبه، فالسلوك وليدُ الفكرة، عنها يصدر، ومنها يتمخض .

فكان موعود الله تبارك وتعالى للمجتمعات كافة بتحقيق الأمن عامةً منوطاً بالتوحيد، حيث قال تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي ٱلأَرضِ كَمَا ٱستَخلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرتَضَىٰ لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعدِ خَوفِهِم أَمنا يَعبُدُونَنِي لَا يُشرِكُونَ بِي شَيـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥]

"عن أُبَيّ بن كعب[(١)]، قال: لَمّا نزلت على النبيِّ ﷺ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥] ؛ قال: «بَشِّر هذه الأُمَّةَ بالسَّنا، والرِّفعة، والدين، والنصر، والتمكين في الأرض، فمَن عمل مِنهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة مِن نصيب" [(٢)].

---

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، أبو المنذر وأبو الطفيل سيّد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدرا والمشاهد كلها، قال له النبي ﷺ: «ليهنك العلم أبا المنذر»، وقال له: «إنّ اللّه أمرني أن أقرأ عليك»، وكان عمر يسمّيه سيد المسلمين، مات سنة ثنتين وعشرين في خلافة عمر ، وقد قيل إنه بقي إلى خلافة عثمان ، انظر : "الإصابة في تمييز الصحابة"، ابن حجر : (١٨٠/١) .

(٢) موسوعة التفسير بالمأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي : (٧٠٠/١٥)، والحديث : أخرجه أحمد : ٣٥/ ١٤٤ – ١٤٥ (٢١٢٢٠)، وابن حبان : ٢/ ١٣٢ (٤٠٥)، والحاكم: ٤/ ٣٤٦ (٧٨٦٢) جميعهم دون الآية، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه واللفظ له، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» : المستدرك، للحاكم : (٣٤٦/٤) .

ولو تأملنا في صلح الحديبية على سبيل المثال . وكيف كان أعظم مكسب منه، هو أن توقف الإرهاب الفكري والحسي من قريش، فأمن الناس، وأتيحت لهم المساحة الكافية لمعرفة الحق، فوصل الإسلام إلى مسامعهم، وولج إلى قلوبهم، فنما عدد المسلمين من الألف وأربعمائة مسلم إلى العشرة آلاف مسلم !

فالتوحيد هو أسُّ هذه الثوابت، ولا يمكن أن تقوم للأمن الفكري قائمة إذا ضعف التوحيد .

المبحث الثاني : توحيد منهج التلقي وتسليمُ الجميعِ للنص الشرعي .

حصر القرآن الكريم منهج التلقي في النص الشرعي، وهو نص الكتاب والسنة، وعدَّ تجاوزهما من المحظورات المهلكات، وأمر بالتسليم التام لنصوص الوحيين، وكتب التفسير والسنن والسير طافحة بصنيع السلف بهذا التسليم العظيم.

فأمَّن القرآن الكريم منهج التلقي، ووحده بين جميع فئات المجتمع البشري، وما ذاك إلا حفاظاً على الفكر من التشتت والضياع والتشرذم، وتنازع المصادر وتجاذبها، أو تناقض الفكر واضطرابه، فأمنُ الأفكار مُناطٌ بارتباط العقل بمنهج التلقي .

قال تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١]

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري [(١)]: "القول في تأويل قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم}: يعني تعالى ذكره بقوله: {يا أيها الذين آمنوا} : يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله، وبنبوة نبيه محمد ﷺ: {لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، من مصنفاته: تهذيب الآثار، وتاريخ الأمم، أحكام شرائع الإسلام، وجامع البيان في تأويل آي القرآن، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (٩٥).

وأمر رسوله، محكي عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه" [١].

فربى المؤمنين على أدب التلقي قبل أدب التصرف .
قال ابن عطية [٢]: "معنى لا تُقَدِّمُوا لا تمشوا بَيْنَ يَدَيِ رسول الله، وكذلك بين يدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء" [٣].

ونلاحظ في الآية حذف المفعول وذلك للإطلاق والتعميم، قال أبو السعود[٤] : "لا تقدّمُوا أمراً من الأمور على أن حذف المفعول للقصد إلى تعميمهِ" [٥].
فنهينا أن لا نقدم أمرا ولا نهيا ولا فعلا ولا فكرا ولا ما يقوم مقامهم دون الوحيين وعلى فهم السلف
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٥١]

(١) جامع البيان، الطبري : (٣٣٥/٢١).
(٢) هو : عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن أبو محمد الغرناطي القاضي، من كبار المفسرين، حدث عن أبيه الحافظ أبي بكر وغيره، كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، واسع المعرفة، وكان يتوقد ذكاء، وله التفسير المشهور : المسمى بالمحرر الوجيز تفسير الكتاب العزيز، سنة ٥٤٦هـ، انظر : طبقات الأدنه وي : (١٧٦) .
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية : (١٤٤/٥).
(٤) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي (أبو السعود) فقيه، أصولي، مفسر، شاعر، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، من موالي الروم، من مؤلفاته: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في تفسير القرآن)، و(بضاعة القاضي في الصكوك)، و(تهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي)، توفي سنة ٩٨٢هـ، انظر: البدر الطالع بمحاسن من في القرن التاسع، الشوكاني : (٢٦١/١).
(٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود : (١١٦/٨).

قال ابن كثير[١] : "أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة رسوله، فقال إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا، أي : سمعا وطاعة، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح، وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب، فقال تعالى: وأولئك هم المفلحون"[٢].

فجعل الله تبارك وتعالى السمع والطاعة، والتسليم للنص الشرعي، هو سبب الفلاح في الدنيا والآخرة، ولا فلاح بدون أمن على الأرواح والعقول .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦] قال الشوكاني [٣]: "ومعنى الآية: أنه لا يحل لمن يؤمن بالله إذا قضى الله أمرا أن يختار من أمر نفسه ما شاء"[٤].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥]

---

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ابن زرع البصروي، ثم الدمشقي، الشافعي المعروف بابن كثير (عماد الدين، أبو الفداء) محدث، مؤرخ، مفسر فقيه، من تصانيفه: (تفسير القرآن العظيم)، و(مختصر علوم الحديث، لابن الصلاح)، و(البداية والنهاية في التاريخ)، توفي في شعبان سنة ٧٧٤هـ. انظر: طبقات المفسرين، للداوودي (١١١/١)، وتذكرة الحفاظ، ابن عبد الهادي (١/١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : (٦٨/٦).

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله، فقيه، أصولي، محدث، مفسر، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بـ«هجرة شوكان» – من بلاد خولان باليمن – ونشأ وتعلم بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات بها، له أكثر من مئة كتاب منها: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) طبع في خمسة مجلدات، و (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) توفي سنة ١٢٥٠ للهجرة، انظر: الأعلام، للزركلي (٢٩٨/٦).

(٤) فتح القدير، الشوكاني : (٣٢٥/٤).

قال الطبري : "أي لا يصدقون بي وبك ، وبما أنزل إليك {حتى يحكموك فيما شجر بينهم} يقول: حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم ، فالتبس عليهم حكمه ... {ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت} يقول: " لا يجدوا في أنفسهم ضيقا مما قضيت ، وإنما معناه: ثم لا تحرج أنفسهم مما قضيت: أي لا تأثم بإنكارها ما قضيت وشكها في طاعتك وأن الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه"(١).

فربى القرآن المؤمنين على التسليم للنص الشرعي، تسليماً يصل إلى الرضا التام، وليس ظاهرياً فقط، وهذا لا يمكن أن يكون دون سلامة الفكر والمعتقد .

(١) جامع البيان، الطبري : (٧/٢٠٠).

المبحث الثالث

تحصين العقل[١] قبل صدور الأفعال وعند ردود الأفعال.

لما توعد الشيطان الرجيم آدم وبنيه، ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وجعل هذا شغله الشاغل، وأعطاه الله جل وعلا بحكمته ومشيئته هذه الفرصة، لم يتركنا هملاً، وبنى لعقولنا الحصون المنيعة، فمن خرج عنها إلى العراء فلا يلومنَّ إلا نفسه .

وأوجز هذه الحصون القرآنية للعقل في المسائل التالية :

المسألة الأولى : حصن العلم، والدعوة إليه، والترغيب فيه :

فخروج المرء عن هذا الحصن، جنايةٌ منه على فكره وعقله، معرضاً إياه لكل المصائب الفكرية، لتصيبه سهام الجهل في كل مقتل، فلا يمكن أن تسلم العقول إلى بحصول العلم .

والدعوة في القرآن الى العلم على مسارين اثنين :

أ. الحث على التعلم والترغيب فيه :

وذلك بالدعوة إليه، وبيان فضله، وشرف أهله .

ومنها قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة: ١١]

قال ابن الجوزي[٢]: "قوله عزّ وجلّ: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بمنزلتهم من أهل الإيمان وَيرفع الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ على مَن

---

(١) بتصرف شديد (في بعض عناوينه فقط) من محاضرة على الشبكة العنكبوتية للشيخ الدكتور : حسن بخاري بعنوان : معالم الأمن الفكري في القرآن الكريم : https://www.youtube.com/watch?v=VjPzI1UmE3I

(٢) هو : عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي أبو الفرج، من ولد الإمام أبي بكر الصديق، =

ليس بعالم" ثم قال مفصلاً : "وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة، والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدِّين والعلم، وكان ابن مسعود يقول: (أيها الناس : افهموا هذه الآية ولْتُرغِّبْكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات)" [(١)] .

ب . الاستعانة بسلاح اللجوء إلى أهل العلم وسؤالهم والصدور عنهم :

قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ إِلَّا رِجَالا نُّوحِيٓ إِلَيهِم مِّن أَهلِ ٱلقُرَىٰٓ أَفَلَم يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرضِ فَيَنظُرُواْ كَيفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَدَارُ ٱلأٓخِرَةِ خَير لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْ أَفَلَا تَعقِلُونَ ١٠٩ ﴾ [يوسف: ١٠٩]

قال العلامة السعدي[(٢)] عند تفسيرها :

"وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة،

=الواعظ الملقب بجمال الدين الحافظ كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة منها : زاد المسير في علم التفسير، وله في الأحاديث تصانيف كثيرة، وله المنتظم في التاريخ، وكتاب الموضوعات في الأحاديث الموضوعة ، "طبقات المفسرين للأدنه وي" : (٢٠٨/١) .

(١) زاد المسير، ابن الجوزي : (٢٤٨/٤).

(٢) هو : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، عالم حنبلي، مفسر، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، بالمملكة العربية السعودية، من كتبه : "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن" في ثمانية مجلدات، طبع ثلاثة منه، و "القواعد الحسان في تفسير القرآن" طبع، و "تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن" طبع في مجلد . "معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"، عادل نويهض : (٢٧٩/١) .

فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال"[١] .

فليس هناك أضر على الفكر من جهل يعصف بالثوابت ويهدم الحصون، وذلك بتزيينه القبيح، وتشريعه للجريمة، وتحليله للحرام، وتسويغه للمنوع .

ولو تأملنا إلى أنواع الانحراف الفكري في الساحة قديماً وحديثاً، لوجدنا أن أُسَّها ولبَّ لبابها : الجهل

بل لربما كان جهلاً مركبا ! وذلك إن صدرت عن من ينتسب للعلم ! فقد جهل كيف يستند لدليل صحيح، وفهم سليم، والعياذ بالله، وهي من أكبر الجنايات الفكرية، قال تعالى : (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون).

قال السعدي : "ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه، أو كلام رسوله، على معان اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على الله بلا علم، من أكبر المحرمات، وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها، فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبذلون مكرهم وخداعهم، على إغواء الخلق بما يقدرون عليه"[٢] .

المسألة الثانية : حصنُ القواعد العقلية لفكرٍ سديد :

من تحصين القرآن الكريم للعقل أن أرسى له قواعد منهجية ينتهجها؛ ليكون مسدداً في فكره، مستقيماً في مضيه نحو بارئه، ومنها :

أ. منهج إعمال العقل، واستحثاثه على القيام بدوره من التعقل والتذكر والتدبر والتفكر، فكثيراً ما يتكرر في القرآن الكريم قوله تعالى : (أفلا تعقلون) و (أفلا يتدبرون) و (أفلا تتذكرون) و (أفلا تتفكرون) وما شابهها.

أما إن سلَّم الإنسان فكره لغيره، مستنداً على إعمال الآخرين لعقولهم، فقد جنى على عقله، وخالف منهج القرآن.

ب . تلقينه أساليب الحجة والمحاجة، ومن هذه الأساليب :

. أسلوب التلازم العقلي :

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي : (٤٤١).

(٢) المصدر السابق : (٨١).

كما في قوله تعالى : ﴿لَو كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلعَرشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فالتلازم العقلي هنا أنهما . السمَاوات والأرض . لما كانتا وقامتا دون فساد دل على أن إلههما واحد ولا إله آخر معه.

. أسلوب قياس الأولى :

ويتكرر في القرآن حيث توجد آيات الحِجاج، وإقامة الدليل، وتفنيد الشبهات، وقمع الخصوم .

كما في قوله تعالى :

﴿وَلَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ كُلّ لَّهُ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبدَؤُاْ ٱلخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيهِ وَلَهُ ٱلمَثَلُ ٱلأَعلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَهُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم: ٢٦-٢٧]

روى الطبري عن مجاهد[١]، قوله: "{وهو أهون عليه} قال: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هين" [٢].

وقال تعالى : ﴿أَوَلَم يَرَ ٱلإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقنَٰهُ مِن نُّطفَة فَإِذَا هُوَ خَصِيم مُّبِين ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلقَهُ قَالَ مَن يُحيِ ٱلعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيم ٧٨﴾ [يس: ٧٧-٧٨]

وفصل في هذا الجانب العلامة السعدي عند تفسير هذه الآية حيث قال :"أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت، هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه،

---

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى عبد الله بن السائب، روى عن كبار الصحابة، وتلا عليه جماعة منهم ابن كثير الداري، وعمرو بن العلاء، وابن محيصن، قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ توفي بمكة وهو ساجد عام : ١٠٢هـ، وقيل ١٠٤هـ، عن ٨٣ سنة ، انظر : سير أعلام النبلاء، الذهبي : (٤٤٩/٤)، و الطبقات الكبرى لابن سعد : (٢٠/٦) .

(٢) جامع البيان، الطبري : (٤٨٦/١٨).

فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا، لم يضرب هذا المثل، فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، {وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}"، هذا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم" [1].

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي : (٦٩٩).

المسألةُ الثالثة : حصن المسؤولية الفردية، بتحميل المرء جناية العقل على السلوك :

﴿وَلَا تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِۦ عِلمٌ إِنَّ ٱلسَّمعَ وَٱلبَصَرَ وَٱلفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنهُ مَسـُٔولا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال السعدي : "ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، {**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا**} فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى"[(١)].

بذلك يدرك العبد عظم هذه المسؤولية التي حمله إياها الشرعُ عن قوله وفعله وجارحته، ولا قول ولا فعل ولا سلوك إلا من نتاج الفكرة .

كما في قوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ ٱلكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلمُجرِمِينَ مُشفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَة وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرا وَلَا يَظلِمُ رَبُّكَ أَحَدا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩] فالقرآن يحمل العبد مسؤولية ما اقترف صغيره قبل كبيره، لا يغفل منه شيئاً، قال أبو حيان[(٢)] : "وقدمت الصغيرة اهتماما بها، وإذا أحصيت فالكبيرة أحرى، (إلا أحصاها) ضبطها وحفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي : (٤٥٧).

(٢) هو: محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها، بعد أن كف بصره، من مؤلفاته: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و(النهر) اختصر به البحر المحيط، و(مجاني العصر)، توفي سنة ٧٤٥هـ، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢٧٩/٢)، والأعلام، للزركلي (١٥٢/٧).

ما عملوا، (ولا يظلم ربك أحدا) : فيكتب عليه ما لم يعمل، أو يزيد في عقابه الذي يستحقه، أو يعذبه بغير جرم" (١).

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحنُ نُحيِ ٱلمَوتَىٰ وَنَكتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُم وَكُلَّ شَيءٍ أَحصَينَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ [يس: ١٢]

والإحصاء أدق من العد، وهذه المسؤولية التي يحملها الشرع للعبد تستمر معه حتى بعد موته، فما أعظمه من حمل.

قال ابن عطية في تفسير الآية السابقة : "ثم توعدهم بذكره كتب الآثار، وإحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الإنسان، فيدخل فيما قدم ويدخل في آثاره لكنه تعالى ذكر الأمر من الجهتين ولينبه على الآثار التي تبقى ويذكر ما قدم الإنسان من خير أو شر، وإلا فذلك كله داخل فيما قدم ابن آدم، وقال قتادة ما قَدَّمُوا معناه من عمل، وقاله ابن زيد ومجاهد وقد يبقى للمرء ما يستن به بعده فيؤجر به أو يأثم"(٢).

ولو تأمل المتأمل في أهل الجنايات كلهم، ما أقدموا على جناياتهم إلا بفكر خامر رؤوسهم، ولا يخامر الفكر العقل إلا بما وقر في القلب من عقائد وقناعات .

المسألة الرابعة : حصن التثبت في الرواية :

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُم فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَومَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلتُم نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦]

هذه الآية منهج للمجتمع تسمو به في سمو العلاقات المجتمعية، وتدحر الشيطان وتخزيه، ومن الدروس التربوية التي فيها ما قاله العلامة السعدي : "أمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة، فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما

(١) البحر المحيط، ابن حيان : (١٨٨/٧).

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية : (٤٤٨/٤).

الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟

فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي" [(١)].

المسألة الخامسة : حصن صدِّ الشائعات :

فالإصغاء إلى الشائعات مفض إلى بلوى تضر الفرد، وتصدع بنيان المجتمع تصدعاً كبيراً، لا يرأبه إلا منهج القرآن في هذه الآية من رده إلى الله ورسوله ﷺ.

قال تعالى : ﴿وَإِذَا جَآءَهُم أَمر مِّنَ ٱلأَمنِ أَوِ ٱلخَوفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَو رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلأَمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُۥ مِنهُم وَلَولَا فَضلُ ٱللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُۥ لَٱتَّبَعتُمُ ٱلشَّيطَٰنَ إِلَّا قَلِيلا ٨٣ ﴾ [النساء: ٨٣]

قال ابن كثير : هذا "إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة" [(٢)]وذكر قوله ﷺ: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)[(٣)] إلى أن قال : "ويذكر هاهنا حديث عمر بن الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله ﷺ، طلق نساءه، فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على النبي ﷺ، فاستفهمه أطلقت نساءك فقال «لا» فقلت: الله أكبر وذكر الحديث بطوله"[(٤)].

المسألة السادسة : حصن الإنصاف والتفكر، وإعمال الفكر الناقد :

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي : (١٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : (٣٢١/٢).

(٣) أخرجه مسلمٌ في مقدمة الصحيح، باب : النهي عن الحديث بكل ما سمع : (١٠/١) .

(٤) المصدر السابق : (٣٢٢/٢)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، (١/ ٢٩/ ح٨٩) .

ولقد تكاثرت آيات القرآن الكريم بهذا الأسلوب الكريم، ومن ذلك أسلوب التوبيخ والتقريع بالسؤال للوقوف على الحقيقة الحتمية، والتربية على أسلوب الفكر الناقد، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿أَفَنَجعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ٤٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٤١ ﴾ [القلم: ٣٥-٤١]

قال ابن جزي [(١)]: "أي: تقرؤون ما فيه إن لكم في ذلك الكتاب لما تخيرون أي: ما تختارون ... وهذا تقريع لهم، وتوبيخ على ما يتمنون من الباطل، (سلهم أيهم بذلك زعيم...): أي: ألكم عهود على الله تعالى حلف لكم على ما تدعون بأيمان بالغة؟ أي: مؤكدة، وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ"[(٢)].

ومنه أيضاً قوله تعالى :

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٣] .

قال ابن كثير : " ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم، ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ كقوله عز وجل: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ ﴾ [النجم: ٢١-٢٢] ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي المالكي ،يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة وزوي الأصالة والنباهة فيها،كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيها حافظا قائما على التدريس، حافظاً للتفسير، مستوعبا للأقوال، جمّاعة للكتب، قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقراءات، (أصول القراء الستة غير نافع) وكتاب (الفوائد العامة في لحن العامة) وكتاب : (التسهيل لعلوم التنزيل)، توفي : ٧٤١ ، انظر : (طبقات المفسرين) للداوودي : (٨٥/٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي : (٣٢٥/٤).

شاهدوا خلقهم ... ثم قال تعالى منكرا عليهم ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ ؟ أي : أي شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين ؟! كقوله عز وجل: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [الإسراء: ٤٠] ، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤ ﴾ [الصافات: ١٥٤] ؟ أي : ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون ؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦ ﴾ [الصافات: ١٥٥-١٥٦] أي : حجة على ما تقولونه، ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٥٧﴾ [الصافات: ١٥٧] ، أي : هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوزه العقل بالكلية"[(١)] .

المسألة السابعة : حصن التبصر وطلب البينة :

وفي القرآن من الآيات التي تربي المؤمنين على إعمال البصائر، وطلب البينة، والتروي في الأحكام، وعدم إقحام النفس وتحميل الذمم مالا علم للمرء به الكثير الكثير، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال القاسمي[(٢)] في تفسير هذه الآية : "ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تتبعه في قول أو فعل، تسنده إلى سمع أو بصر أو عقل. من (قفا أثره) إذا تبعه" [(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : (٣٧/٧).

(٢) هو: جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، الحلاق، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد بدمشق، ونشأ، وتعلم بها، وانتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في البلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨-١٣١٢هـ) ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة، وعاد إلى دمشق فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب إلى أن توفي، من تصانيفه الكثيرة: (محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم)، (إصلاح المساجد من البدع والعوائد)، توفي سنة ١٣٣٢هـ، انظر: الأعلام، للزركلي (١٣٥/٢).

(٣) محاسن التأويل، القاسمي : (٤٦٠/٦).

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨]

قال أبو السعود : "{إن عندكم من سلطان} أي حجة {بهذا} أي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما أقيم من البرهان الساطع عن المعارض ... والالتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام وتأكيد ما في قوله تعالى : {أتقولون على الله ما لا تعلمون} من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم، وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعي، وأن التقليد بمعزل من الاعتداد به" (١).

قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨]

قال ابن عطية : "المعنى قل يا محمد للكفرة: هل عندكم من علم من قبل الله تعالى فتبينوه حتى تقوم به الحجة؟ ... (إن تتبعون إلا الظن)، أي : لا شيء عندكم إلا الظن، وهو أكذب الحديث" (٢).

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود : (١٦٣/٤).

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية : (٣٦٠/٢).

المبحث الرابع : التنبيهُ إلى منابع الغواية والتحذيرُ من مسالكها .

لما كان للشيطان أعوان من الإنس والجن، كانت له سبل ومسالك، يغوي بني آدم بها وإليها؛ ليكونوا من حزبه، ، فذم القرآن الكريم منابع هذه الغواية، ونبه إليها، وحذر منها، ومن أبرز ما ذمه القرآن منها مما يغوي الفكر ما يلي :

المسألة الأولى : ذم الغلو والتنطع :

قال تعالى ﴿يَٰٓأَهلَ ٱلكِتَٰبِ لَا تَغلُواْ فِي دِينِكُم﴾ [النساء: ١٧١]

قال القاسمي : "أي: بالإفراط في رفع شأن عيسى وادعاء ألوهيته، فإنه تجاوز فوق المنزلة التي أوتيها، وهي الرسالة، واستفيد حرمة الغلو في الدين وهو مجاوزة الحد، وفي الصحيح عن عمر عن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا:عبد الله ورسوله"(١).

فلما كان الغلو آفة فكرية تردي صاحبها إلى الشرك نهاهم عنه وبين أثره وضرره، وأردفته السنة المطهرة بذلك.

المسألة الثانية : ذم اتباع الهوى وتأليهه :

فمن أعظم الإضلال وأخفاه أن يؤتى الفكر من قبل نفسه، بالهوى المُطاع، قال تعالى : ﴿أَفَرَءَيتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمعِهِۦ وَقَلبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهدِيهِ مِن بَعدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية: ٢٣]

قال ابن عطية : "وقوله اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ معناه جعل هواه مطاعا فصار كالإله والهوى قائد إلى كل فساد لأن النفس أمارة بالسوء" (٢).

ومثل هذه الآية قوله تعالى :

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي : (٤٧٧/٣)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: ١٦] : (٤/ ١٦٧/ ح٣٤٤٥) .

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية : (٢١٢/٤).

﴿أَرَءَيتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيهِ وَكِيلًا ٤٣﴾ [الفرقان: ٤٣] قال ابن جزي : "اتخذ إلهه هواه أي أطاع هواه حتى صار كأنه له إله بل هم أضل لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب" (١).

المسألة الثالثة : ذم الجليس السيئ بالأمر بالإعراض عنه، والنهي عن مجالسته وطاعته :

فالجليس إما حامل مسك أو نافخُ كير، يصبغ الفكر بصبغته دون أن يشعر جليسه، ويرد عليه كل مورد دون إذن صاحبه، فأمر الله تبارك وتعالى بالإعراض عن جليس السوء، كما في قوله تعالى :

﴿فَأَعرِض عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكرِنَا وَلَم يُرِد إِلَّا ٱلحَيَوٰةَ ٱلدُّنيَا ٢٩﴾ [النجم: ٢٩] قال ابن كثير : "وقوله تعالى: فأعرض عن من تولى عن ذكرنا أي أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره" (٢).

وما ذاك إلا لأنه إن أعرض عن الحق، خلا منه وامتلأ بالباطل والعياذ بالله .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعرِض عَنهُم حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيطَٰنُ فَلَا تَقعُد بَعدَ ٱلذِّكرَىٰ مَعَ ٱلقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨]

قال السعدي : "المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله أصلا وأمته تبعا، إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي : (٨٣/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : (٤٢٦/٧).

فإن كان مصلحة كان مأمورا به، وإن كان غير ذلك، كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق، ثم قال: {وإما ينسينك الشيطان} أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة، {فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين} يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته" (١).

وقال تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠]

فمجالسةُ صاحب المنكر مشاركة له فيه، قال ابن كثير : "أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: إنكم إذا مثلهم في المأثم، كما جاء في الحديث : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر)" (٢).

وقال تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨]

"يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك، عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه» وإذا كان هذا في حق النبي المعصوم ﷺ فأمته من باب أولى" (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي : (٢٦٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : (٣٨٥/٢).
(٣) جامع البيان، الطبري : (٢٤١/١٥).

المبحث الخامس : التأكيد على ركائز الهدايةِ ومجامعها .

نسأل الله تعالى الهداية في كل ركعة في صلواتنا، الأمر الذي ينبئ عن عظم أمر هذه الدعوة، وأهميتها، وحاجتنا إليها أعظم من حاجتنا إلى الماء والطعام . قال ابن تيميّة [(١)] : "والعبد مضطرّ دائما إلى أن يهديه الله الصّراط المستقيم، فهو مضطرّ إلى مقصود هذا الدّعاء، فإنّه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السّعادة إلّا بهذه الهداية، وهذا الهدى لا يحصل إلّا بهدى الله" [(٢)].

وأعظم ركيزتين في القرآن الكريم لمجامع الهداية هما :

المسألة الأولى : سؤال الله الهداية :

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]

قال القاسمي : "أي ألهمنا الطريق الهادي، وأرشدنا إليه، ووفقنا له"[(٣)]، والهداية إلى الفعل تسبقها الهداية في الفكر ولا ريب .

المسألة الثانية : التمسك بهدي النبي ﷺ:

﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص: ٥٠] فمن لم يتمسك فهوَ متبع للهوى موسوم بالضلال، قال ابن الجوزي : "أي: أن ما ركبوه من الكفر لم يحملهم عليه حجة، وإنما آثروا فيه الهوى ومن أضل أي: ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى أي: بغير رشد ولا بيان جاء من الله"[(٤)].

---

(١) هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية شيخنا الإمام تقي الدين أبو العباس الحراني فريد العصر علما ومعرفة وذكاء وحفظا وكرما وزهدا وفرط شجاعة وكثرة تآليف، سمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وخلق كثير، وعني بالرواية، وسمع الكتب والمسند والمعجم الكبير، سمعت جملة من مصنفاته وجزء ابن عرفة، وغير ذلك، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وسبع مائة مسجونا بقاعة من قلعة دمشق، انظر : "معجم الشيوخ الكبير" للذهبي : (٥٦/١) .

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية : (٣٧/١٤).

(٣) محاسن التأويل، القاسمي : (٢٣٠/١).

(٤) زاد المسير، ابن الجوزي : (٣٨٧/٣).

المبحث السادس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وسيأتي في معرض الحديث في الفصل الثاني من هذا البحث إن شاء الله .

الفصل الثاني

شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر الإنساني وأثرها في تحقيق الأمن الفكري

توطئة :

لما كان الأمن مختلف الجوانب متعدد المشارب، وكان الأمن الفكري أهمها، وقد عرجتُ على أبرز ثوابته ومعالمه في القرآن الكريم، وكان أحد هذه الثوابت : شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحببتُ أن أفرد الحديث عنها في هذا الفصل بما يناسب المقام، عن أهميتها وأثرها في هذا الجانب المهم من الأمن الفردي والمجتمعي.

ويأتي الحديث عنها هنا في أربعة مباحث :

المبحث الأول : أهمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهان للفكر الإنساني .

المبحث الثاني : مقاصد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر الإنساني .

المبحث الثالث : مفاهيم مغلوطة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجه نحو الفكر الإنساني والرد عليها .

المبحث الرابع : أثر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن الفكري .

وبالله التوفيق .

المبحث الأول

أهمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهان للفكر الإنساني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرةٌ من أعظم شعائر الدين، وبها فضل الله الأمة، وجعلها من رايات الأمان يحفظ الله بها المجتمع، قال @ :

"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا"(١).

قال ابن النحاس (٢)رحمه الله في تنبيه الغافلين :

"واعلم أن في تمثيل النبي @ هذا جملة من الفوائد منها:

–أن المسلمين مشتركون في الدين الذي هو آلة النجاة في الآخرة، كاشتراك أهل الدنيا في السفينة التي هي آلة النجاة في الدنيا.

–وكما أن سكوت شركاء السفينة عن الشريك الذي أراد فسادها سبب هلاكهم في الدنيا، كذلك سكوت المسلمين عن الفاسق وترك الإنكار عليه سبب هلاكهم في الآخرة بل وفي الدنيا، كما سيأتي في الأحاديث الآتية إن شاء الله تعالى.

–ومنها أن كما لا ينجي الشركاء من الهلاك قول المفسد إنما فسد فيما يخصني، كذلك لا ينجي المسلمين من الإثم والعقوبة قول مرتكب المنكر إنما أجني على ديني لا على دينكم، وعليكم أنفسكم، ولي عملي ولكم عملكم، وكل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الشركة، باب : هل يقرع في القسمة والاستهام فيه كتاب الشركة، (٣/١٣٩/ح ٢٤٩٤) .

(٢) هو : أحمد بن إبراهيم بن محمد، أبو زكريا، محيي الدين الدمشقيّ ثم الدمياطيّ، المعروف بابن النحاس: فرضي فاضل، مجاهد، من فقهاء الشافعية. ولد في دمشق، ورحل أيام تيمورلنك، إلى مصر، وقتل في معركة مع الفرنج، ودفن بدمياط، من مصنفاته : (المغنم في الورد الأعظم) و (مشارع الأشواق الى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) و (تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، وتحذير السالكين من أفعال الهالكين)، توفي سنة : ٤١٨هـ، انظر : "الأعلام" للزركلي : (١/٨٧) .

شاة معلقة بعرقوبها، ونحو هذا الكلام مما يجري على ألسن الجاهلين، لأن شؤم فعله وسوء عاقبة فساده يشملهم أجمعين.

–ومنها أن أحد الشركاء في السفينة إذا منع المفسد من خرقها كان سببا في نجاة أهل السفينة كلهم، كذلك من قام من المسلمين بإنكار المنكر كان قائما بفرض الكفاية عنهم، وكان سببا لنجاة المسلمين جميعا من الإثم وله عند الله الأجر الجزيل على ذلك.

–ومنها أنه إذا أنكر منكر أهل السفينة على الشريك الذي أراد خرقها فاعترض عليه معترض منهم نسب ذلك المعترض إلى الحمق وقلة العقل والجهل بعواقب هذا الفعل إذا المنكر ساع في نجاة المعترض وغيره، كذلك لا يعترض على من ينكر المنكر إلا من عظم حمقه وقل عقله وجهل عواقب المعصية وشؤمها، إذا المنكر قائم بإسقاط الفرض الواجب على المعترض وغيره وساع في نجاتهم وخلاصهم من الإثم والحرج.

– ومنها أن من سكت عن خرق الشريك السفينة مع استطاعته حتى غرق آثم فيما نزل به وعاص بقتل نفسه، كذلك الساكت عن إنكار المنكر آثم بسكوته عاص بإهلاك نفسه.

–ومنها أن شركاء السفينة إذا سكتوا عمن أراد خرقها كانوا هم وإياه في الهلاك سواء، ولم يتميز المفسد في الهلاك من غيره، ولا الصالح منهم من الطالح، كذلك إذا سكت الناس عن تغيير المنكر عمهم العذاب، ولم يميز بين مرتكب الإثم وغيره، ولا بين الصالح منهم وغيره كما سيأتي.

–ومنها أنه لا يقدم من الشركاء على خرق السفينة إلا من هو أحمق يستحسن ما هو في الحقيقة قبيح، ويجهل عاقبة فعله الشنيع، كذلك لا يقدم على المعصية إلا من استحسنها لنفسه، وجهل ما فيها من عظيم الإثم وأليم العاقبة، إذا لو علم حق العلم أنه يفعل في دينه بمعصية من الفساد ما يفعله خارق السفينة لما أقدم على المعصية أبدا.

–ومنها أنه لا يقدم على خرق السفينة من أيقن بما في خرقها من إهلاكه إذ لا يقدم على إهلاك نفسه إلا من جهل أو شك فيه، كذلك لا يزني الزاني حين يزني

وهو مؤمن بوعيد الله تعالى، وأليم عذابه على الزنا ولا يسرق السارق حيث يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وهذه قريبة من التي قبلها. وفوائد كلام من أوتي جوامع الكلم لا تنحصر أبدا، والله أعلم"(١).

وسفينة الفكر أولى السفن بالعناية؛ لأنها إن أُمِّنت أمِنَت بقية السفن بإذن الله .

وجاء في فتح الباري قوله : "فإن أخذوا على يديه أي منعوه من الحفر أنجوه ونجوا أنفسهم هو تفسير للرواية الماضية في الشركة حيث قال نجوا ونجوا أي كل من الآخذين والمأخوذين وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها"(٢).

فلما كان الإنسان مدنياً بطبعه، لا غنى له عن بني جنسه، والاجتماع مورث للتنازع، والخلطة تلزمها الفضيلة ومكارم الأخلاق وفقه المعاملات وغير ذلك، كما أنها قد تورث حصول المنكر بأي شكل من الأشكال .

كان لا بد من تنظيم هذا الاجتماع، وتلك الخُلطة بوسيلة تضبطهما، وترد من جنح إلى الطريق السليم، لشدة أهميتها وفضلها جعلها الله تعالى شعيرة من شعائر دينه، وبوأها مكانة عظيمة، بأن أوجبها على الكفاية، يأثم بتركها الجميع، وجعلها مناط الأمن في المجتمعات، بل سفينة النجاة عند حلول البلاء، كما بينه الحديث السابق .

والانضباط في الأفعال من جهة، وحصول الخلل فيها من جهة أخرى في النظام البشري الفردي والمجتمعي واللذان هما نتاج : الموافقة أو المخالفة للنص الشرعي، والتسليم له من عدمه .

والأفعال إنما تصدر عن العقول وفكرها ! لذلك جعل الله تعالى العقل مناط التكليف .

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، ابن النحاس : (٨٨) .

(٢) فتح الباري، ابن حجر : (٢٩٥/٥).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجه للفكر له أصوله العظيمة وثوابته الراسخة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهي "كثيرة ومتنوعة، فمنها الأمر بالقيام بهذا الواجب وأدائه، ومنها الثناء عل أهله، ومنها التوبيخ والوعيد لمن تركه، ومنها الذم والعيب على من تركه" (١) ، فمن ذلك في كتاب الله تعالى ما يلي :

أ. من الأدلة التي تأمر بأداء هذا الواجب :

. قوله تعالى : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤]

(١) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالعزيز الراجحي : (٢٦).

ب . ومن الأدلة التي فيها الثناء على أهله والمدح لمن فعله :

. قوله تعالى : ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

. وقوله تعالى : ﴿وَلتَكُن مِّنكُم أُمَّة يَدعُونَ إِلَى ٱلخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلمُفلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤]

. وقوله تعالى : ﴿يُؤمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱليَومِ ٱلأَخِرِ وَيَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلخَيرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤ ﴾ [آل عمران: ١١٤]

. وقوله تعالى : ﴿ لَّا خَيرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجوَىٰهُم إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعرُوفٍ أَو إِصلَٰحِ بَينَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفعَل ذَٰلِكَ ٱبتِغَآءَ مَرضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوفَ نُؤتِيهِ أَجرًا عَظِيما ١١٤﴾ [النساء: ١١٤]

ج . ومن الأدلة التي فيها التوبيخ والوعيد لمن تركه :

. قوله تعالى : ﴿لَولَا يَنهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلأَحبَارُ عَن قَولِهِمُ ٱلإِثمَ وَأَكلِهِمُ ٱلسُّحتَ لَبِئسَ مَا كَانُواْ يَصنَعُونَ ٦٣ ﴾ [المائدة: ٦٣]

. وقوله تعالى : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبنِ مَريَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَونَ عَن مُّنكَر فَعَلُوهُ لَبِئسَ مَا كَانُواْ يَفعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]

د . ومن الأدلة التي فيها الذم والعيب لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله :

. قوله تعالى : ﴿وَإِذ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِم وَٱشتَرَواْ بِهِۦ ثَمَنا قَلِيلا فَبِئسَ مَا يَشتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]

وتأتي أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه الأفكار الإنسانية، وموروثات العقول من التصورات والقناعات وخطواتها، بمجموعة من الأمور، من أهمها :

١/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله أصل عظيم من آكد الأصول الإسلامية وأوجبها وألزمها، حتى ألحقه بعض العلماء بالأركان التي لا يقوم بناء الإسلام إلا عليها [١].

٢/ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله يتوقف قيام الدين، فلولاه ما قام الإسلام، ولا ظهر دين الله، ولا علت كلمته، ويتوقف أيضًا قيام الدولة الإسلامية واستقامتها وصلاحها على القيام به، كما أن صلاح العباد متوقف على القيام به [٢] .

٣/ وجود متلازمات وثيقة الصلة بين الفكر والسلوك، إذا ما وضعت تحت بؤرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه لا شك فيما يلي :

أ / كما أن السلوكيات منها ما هو معروف وما هو منكر، فكذلك مقدماتها من الأفكار .

ب/ كما أن السلوكيات بحاجة إلى تقويم بأمر ونهي، فكذلك الأفكار من باب أولى لأنها تسبق الأفعالَ، والأفعالُ عنها تصدرُ .

ج /كما أن الفكر السليم من أسباب أمن المجتمع ونجاته، والفكر السقيم من أسباب حصول الخوف في المجتمع وهلاكه **من جهة**، وأن القيام بحق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سفينة النجاة، وتركها سبب انفلات الأمن في المجتمع **من جهة أخرى** كان حرياً بنا أن نوجه هذه الشعيرة نحو الفكر كما هي موجهةٌ نحو السلوك .

---

(١) انظر : القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد العزيز الراجحي : (١٢).

(٢) انظر : المصدر السابق : (١٢).

المبحث الثاني :

مقاصد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر الإنساني

مقاصد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة نحو الفكر الإنساني، مستمدة من المقاصد الكلية لهذه الشعيرة المباركة، وأسلط الضوء في هذا المقام المختصر إلى أبرز اثنتين منها تلتصق بتحقيق الأمن الفكري، وهي :

أولاً : النصيحة للمسلمين والرحمة بهم والشفقة عليهم [(١)] :

إنَّ من يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يحمله على عمله ذلك بُغْضٌ لمن قام بأمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو الحمية والتشفِّي، كلاًّ، بل يحمله على ذلك أمور حميدة، منها المحبة للمسلمين والرغبة في إسداء الخير إليهم، ومنعهم مما يؤول بهم إلى عصيان الله واستحقاق العقوبة على تلك المعاصي .

ومما يدل على هذا المقصد ويوضحه:

. قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلبِرِّ وَٱلتَّقوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثمِ وَٱلعُدوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة: ٢]

"فهذا أمرٌ من الله – تعالى – لعباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البرِّ، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم" [(٢)] .

. وقوله تعالى : ﴿وَٱلمُؤمِنُونَ وَٱلمُؤمِنَٰتُ بَعضُهُم أَولِيَآءُ بَعض يَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم ٧١﴾ [التوبة: ٧١]

---

(١) انظر : مقاصد أهل الحسبة، خالد الشايع : (٥١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : (٢/٦).

فبينت هذه الآية أن من أخص صفات المؤمنين – الذين يجب عليهم أن يوالي بعضهم بغضاً – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها معنى النصيحة والمحبة والمؤازرة، وهذا متحقق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأهمية قُدِّم هنا على الصلاة – التي هي عمود الإسلام –، ولعظم الحاجة إليه وشدة الضرورة إلى إقامته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" فَبَيَّن سبحانه (في هذه الآية) أن هذه الأمة خير الأمم للناس : فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم ، لأنهم كمَّلوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصِفة والقَدْر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وهذا كمال النفع للخلق" [(١)] .

ثانياً : حماية المجتمع من أسباب تحلله وهلاكه والعمل على صلاحه وفلاحه[(٢)] :

دلَّت النصوص الشرعية، وشهدت العقول السليمة، والفِطَر الزَّكيَّة أن المجتمع، أيَّ مجتمع كان، لا بدَّ له من نظام وسلوك ومنهاج يحتذيه ويلتزمه جميع أفراده، بحيث يعلمون من خلاله ما يَصِحُّ لهم أن يأتوه ويذروه، وينتبهون إلى ما يحظر عليهم الاقتراب منه أو أن يتجاوزوه، ويُعدُّ المخالف لذلك مقصرًّاً عاصياً، أو باغياً عادياً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وكُلُّ بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال : الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية : (٦).
(٢) انظر : مقاصد أهل الحسبة، خالد الشايع : (٦٣) .

بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد فجميع بني آدم لا بد لهم من طائفة آمرٍ وناهٍ" (١) .

(١) الحسبة، ابن تيمية : (٩).

المبحث الثالث :

مفاهيم مغلوطة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجه نحو الفكر الإنساني وردَّها

هناك ثمة مفاهيم مغلوطة منتشرة بين الناس بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأشهر هذه المفاهيم المغلوطة التي تنطبق على الفكر وتحول دون تحقيق الأمن الفكري، المفاهيم التالية :

١/ الفهم المغلوط للحرية الشخصية [١] :

فكثيراً ما يعترض بعض الذين يباشرون المنكرات بأن ما يفعلونه حُريَّةٌ شخصية لهم، لا حقَّ لأحد أن يتدخل فيها أو أن يعترض على ما يفعلون، ومستند هذه الدعوى شعارات غربية، دأبوا على المجاهرة بها ودعوة الناس إليها، ومقتضاها أن الحرية الشخصية رمز من رموز الارتقاء والدنيَّة والتحضر .

الرد عليه :

أَنْ نقول لأولئك القوم: لو سَلَّمنا لكم أنَّ الحرية الشخصية رمزٌ من رموز المدنية والتحضر فما هو ضابطها لديكم، وما هي معاييرها، أهي الرغبات الشخصية والنزوات الشهوانية وترك الحبل على الغارب ؟!

إنَّ عاقلاً من الناس لا يمكن أن يَعُدَّ هذا السلوك مرغوباً ولا موجوداً إلا في حظائر السائمة من بهيمة الأنعام وما في حكمها.

ثم إن الحرية الحقَّة قد ضمنها الإسلام للناس في أبها صورة وأرقى أحوالها، حيث حرر العباد من العبودية للأهواء والمخلوقين، وقَصرَ عبوديتهم للخالق وحده لا شريك له وألزم بطاعته سبحانه ليكون مُسْتَسْلِماً لله الواحد الأحد الخالق المدبر .

---

(١) انظر : مقاصد أهل الحسبة، خالد الشايع : (٧٤_٧٥) .

ويأتي تبعاً لذلك حُرِّياتٍ أقرها الإسلام وفق ضوابط معنية تحفظ للإنسان إنسانيته وكرمته، وألزم الجميع باحترامها وتوعد من استباحها أو استهان بها .

٢/ الفهم المغلوط بأن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسقط إذا أدى الإنسان الواجبات التي عليه؛ لظاهر قوله : {إذا اهتديتم} من قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيكُم أَنفُسَكُم لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهتَدَيتُم إِلَى ٱللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٥]

الرد عليه (١):

هذا الوهم باطل مردود لما يأتي :

١ –أن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يهتد، وبه قال جمع من الصحابة والتابعين .

٢– أن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور، فمن العلماء من قال: {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}أي أمرتم فلم يسمع منكم، ومنهم من قال: يدخل الأمر بالمعروف في المراد بالاهتداء في الآية، وهو ظاهر جدًا، ولا ينبغي العدول عنه لمنصف .

٣– أن الله تعالى أقسم أن الإنسان في خسر إلا من استثناه في قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ} {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَواْ بِٱلحَقِّ وَتَوَاصَواْ بِٱلصَّبرِ ٣﴾ [العصر: ٣.١] ، فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدل ذلك على أن من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر لم يتواص بالحق ولم يؤدِّ الواجب، فهو غير مهتدٍ، فيضره ضلال من ضلّ؛ لأنه غير مهتد.

٤– أن النصوص دلت على أن الناس تعمهم العقوبة والعذاب إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتنَة لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُم خَآصَّة وَٱعلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥]

---

(١) انظر : القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد العزيز الراجحي : (٤٦) .

٥ –أن صدِّيق هذه الأمة أبا بكر رضي الله عنه دفع هذا الوهم حينما قرأ هذه الآية وأوضح معناها، وبيّن أنها لا تدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال ابن النحاس : "ولا نعلم أحدًا من العلماء ذهب إلى أن معنى (عليكم أنفسكم) : أنه لا يلزمكم أن تأمروا بمعروف ولا تنهوا عن منكر؛ لأن ضلال غيركم لا يضركم، معاذ الله أن يذهب إلى هذا أحد غير الجهلة العوام الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، إذا أمرت أحدهم بمعروف أو نهيته عن منكر قال: قال الله تعالى: (عليكم أنفسكم) فيتأول الآية على غير تأويلها كما قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه : " أيُّها الناسُ إنَّكم تقرؤونَ هذهِ الآيةَ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ إنَّ الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يدَيهِ أوشكَ أن يَعُمَّهُمُ اللهُ بعقابٍ منهُ[١]" [٢].

٣/ الفهم المغلوط باستناد خاطئ لقصة أصحاب السبت في قوله تعالى :
﴿وَإِذ قَالَت أُمَّة مِّنهُم لِمَ تَعِظُونَ قَومًا ٱللَّهُ مُهلِكُهُم أَو مُعَذِّبُهُم عَذَابا شَدِيدا قَالُواْ مَعذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُم وَلَعَلَّهُم يَتَّقُونَ ١٦٤ ﴾ [الأعراف: ١٦٤]

قالوا : إن الله نصّ على نجاة الناهين، ونصّ على هلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين، وهذا يدل على أن الساكتين سَلِموا من العقوبة، فدل على أن الساكت عن إنكار المنكر يسلم من العقوبة إذا لم يشارك الفاعل للمنكر في فعله.

الرد عليه [٣]:

أن هذا التوهم باطل مردود لما يأتي :

---

(١) رواه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر : (٣٧/٤/ ح ٢١٦٨) .

(٢) تنبيه الغافلين، ابن النحاس : (٨٢) .

(٣) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد العزيز الراجحي : (٤٦) .

١ -أن هذه الفرقة التي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ١٦٤﴾اختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين؛ لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهم ليسوا ظالمين لأمرين:

أحدهما: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك عليهم.

الثاني: أنهم أبدوا غضبهم عليهم ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة بقولهم للناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فهم لم يداهنوا ولم يسكتوا وإنما اكتفوا بأداء غيرهم لهذا الواجب العظيم .

المبحث الرابع
أثر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمن الفكري

توجيه الفكر الإنساني في القرآن الكريم والسنة المطهرة ظاهرٌ بيِّن، وهو الذي يضبط سلوك الفرد تجاه دينه ونفسه ومجتمعه، ومن ثم يضبط المجتمع كمنظومة متكاملة نحو الأمن الفكري الذي يقود ركائز الأمن الأخرى بإذن الله، ويؤثر فيه آثاراً جليلةً تطمح إليها كل المجتمعات ومنها :

١/ الالتفاف حول ولاة الأمور وعلماء الأمة الثقات .

٢/ صيانة المجتمع من إثارة الفتن والقلاقل، وصيانة الفرد من الانجراف فيها .

٣/ رقي الفرد والمجتمع فكرياً، وهو مفتاح أبواب الرقي الأخرى : سياسياً واقتصادياً وغير ذلك .

٤/ انخراط الفرد في منظومة إيجابية، يسودها الحوار والنقاش البناء، تنعكس على المجتمع إيجاباً.

وكل هذه الآثار تصب في معين الائتلاف، وتنأى بالفرد والمجتمع عن الاختلاف، وتحكم وثاق ورباط الوحدة المجتمعية، وتقل مظاهر التنازع والانقسامات والتحزبات؛ لتستقيم الحياة، ويستقر المجتمع، ويعم الأمن .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أعرج على أهم النتائج والتوصيات :

أولاً : أهم النتائج :

١/ أن للأمن الفكري ثوابت راسخة تتسم بالديمومة لا تتغير ولا تتبدل على مر الأزمان، وهي مبثوثة في القرآن الكريم واضحة المعالم، وقائدها جميعاً توحيد الله جل وعلا .

٢/ حصَّن شرعنا الحنيف الفكر البشري قبل صدور الأفعال، وعند ردودها، مما يضمن سلامة المجتمع من السلوكيات المنحرفة؛ لأن السلوك وليد الفكرة، وكل تلك الحصون المنيعة هي من الثوابت التي لا يعتريها أي تغيير أو نقص .

٣/ من ثوابت الأمن الفكري في القرآن : التأكيد على ركائز الهدية، والتحذير من منابع الغواية .

٤/ شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أكمل الله تعالى به الدين، وهي موجهة للفكر كما هي موجهة للسلوك، فكل انحراف فعلي يسبقه انحراف فكري .

٥/ بيان بعض المفاهيم المغلوطة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار تحقيقه للأمن الفكري، والرد عليها .

٦/ بيان مقاصد هذه الشعيرة العظيمة في إطار تحقيق الأمن الفكري .

٧/ بيان الآثار الجليلة بإيجاز . لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر على الفرد والمجتمع.

ثانياً : التوصيات :

أوصي الباحثين والباحثات بما يلي :

إنشاء دراسةٍ تفسيرية استقرائية موضوعية تشمل جميع ماورد في القرآن الكريم من آيات وفي السنة النبوية من أحاديث تدل على ثوابت الأمن الفكري وربطها بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجهة للفكر .

فِهرِسُ المراجِع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، د.ط، د.ت ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض . عادل أحمد عبد الموجود، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ط١٥، ٢٠٠٢ م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ط١، ١٤١٨، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية .
- البحر المحيط، أحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، د.ط، د.ت، دار المعرفة، بيروت، لبنان. معجم المؤلفين
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، د.ت ، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، يوسف بن حسن (ابن عبد الهادي)، عناية: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط: ١، ١٤٣٢هـ، دار النوادر، سوريا .
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي، تحقيق : د.عبد الله الخالدي، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان .
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، د.ط، ١٤١٢هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- التقاسيم والأنواع – صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، د.ط، د.ت ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، أحمد بن إبراهيم ابن النحاس، تحقيق : عماد الدين عباس سعيد، ط١، ١٤٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله @ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.
- الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط١، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند .
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، د.ت، دار إحياء الكتب العربية : فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر .
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي، د.ط، د.ت ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، سليمان بن صالح الخزي، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، السعودية.
- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، ١٣٩٦هـ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، د.ت ، دار المعارف، القاهرة، مصر .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، د.ط، د.ت ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط١، ١٤١٢، دار الجلالين .
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط ١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، د.ت، دار صادر، بيروت، لبنان.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، د.ط، ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، لبنان.
- المستدرك المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط١، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- المعجم الوسيط، ،مجمع اللغة العربية،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، د.ط، د.ت ، دار الدعوة، القاهرة، مصر .
- معجم متن اللغة، معجم متن اللغة، أحمد رضا، د.ط، ١٣٨٠هـ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- مقاصد أهل الحسبة والأمور الحاملة لهم على عملهم في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبد الرحمن الشايع، ط١، ١٤١٤، دار بلنسية، الرياض، السعودية .
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- موسوعة التفسير بالمأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: مساعد بن سليمان الطيار – نوح بن يحيى الشهري، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي– دار ابن حزم، بيروت، لبنان .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٧١، دار صادر، بيروت، لبنان.

References :

- 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkutaab alkarim, 'abu alsueud aleimadi muhamad bin muhamad bin mustafaa, du.ta, da.t , dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, lubnan.
- 'asad alghabat fi maerifat alsahabati, eali bin 'abi alkaram muhamad bin muhamad bin eabd alkarim bin eabd alwahid alshaybani aljazari, eiz aldiyn aibn al'athira, tahqiqu: eali muhamad mueawad eadil 'ahmad eabd almawjudi, ta1, 1415hu, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.
- al'iisabat fi tamyiz alsahabati, 'ahmad bin eali bin muhamad bin 'ahmad bin hajar aleasqalani, tahqiqu: eadil 'ahmad eabd almawjud waealaa muhamad mueawad, altabeata: al'uwlaa, 1415h, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan .
- al'aealami, khayr aldiyn bin mahmud bin muhamad bin ealiin bin faris, alzariklii aldimashqi, ta15, 2002 mu, dar aleilm lilmalayini, bayrut, lubnan.
- al'amr bialmaeruf walnahy ean almunkari, 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam bin taymiati, ta1, 1418, wizarat alshuyuwn al'iislamiat wal'awqaf waldaewat wal'iirshadi, alsaeudia .
- albahr almuhita, hamad bin yusif alshahir bi'abi hayaan al'andalsay, ta1, 1422hu, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.

o albadr altaalie bimahasin min baed alqarn alsaabiei, muhamad bin ealii bin muhamad bin eabd allah alshuwkani, du.ti, da.ti, dar almaerifati, bayrut, lubnan. muejam almualifin
o baghyat alwueaat fi tabaqat allughawiiyn walnahaati, eabd alrahman bin 'abi bakr, jalal aldiyn alsuyuti, tahqiq : muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, du.t, du.t , almaktabat aleasriatu, sayda, lubnan .
o tarikh al'iislam wawafayat almashahir wal'aealami, muhamad bin 'ahmad bin euthman aldhahbi, tahqiqu: eumar eabd alsalam tudamari, ta1, 1407ha, dar alkutaab alearabi, bayrut, lubnan.
o tarikh baghdad, 'ahmad bin eali bin thabit bin 'ahmad bin mahdi alkhatib albaghdadii, tahqiqu: bashaar eawad maerufa, ta1, 1422hu, dar algharb al'iislami, bayrut, lubnan.
o tadhkirat alhifaz watabasurat al'ayqazu, yusif bin hasan (abin eabd alhadi), einayatun: lajnat mukhtasat min almuhaqiqin bi'iishrafi: nur aldiyn talib, ta: 1, 1432hi, dar alnawadr, suria .
o altashil lieulum altanzili, muhamad bin 'ahmad bin muhamad bin eabd allah aibn jaziy alkalbi, tahqiq : da.eabd allah alkhalidii, altabeatu: al'uwlaa, 1416 ha, dar al'arqam bin 'abi al'arqamu, bayrut, lubnan .
o tafsir alquran aleazimi, 'abu alfida' 'iismaeil bin kathir alqurashiu aldimashqiu, du.ta, 1412ha, dar almaerifati, bayrut, lubnan.

o altiqasim wal'anwae – sahih aibn hiban, 'abu hatim muhamad bin hibaan bin 'ahmad altamimi albusty, tahqiqu: muhamad eali sunmza, khalis ay dimir, du.ta, du.t , dar aibn hazma, bayrut, lubnan.
o tanbih alghafilin ean 'aemal aljahilin watahdhir alsaalikin min 'afeal aljahilina, 'ahmad bin 'iibrahim aibn alnuhas, tahqiq : eimad aldiyn eabaas saeida, ta1, 1407, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.
o taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanani, eabd alrahman bin nasir bin eabd allah alsaedi, tahqiq : eabd alrahman bin maeala alllwayahaqi, altabeatu: al'uwlaa, 1420hi, muasasat alrisalati, bayrut, lubnan .
o jamie albayan ean tawil ay alquran, hamd bin jarir altabari, tahqiqu: alduktur eabd allah alturki bialtaeawun mae markaz albuhuth waldirasat al'iislamiat bidar hijar, ta1, 1422ha, dar hajr liltibaeat walnashr waltawzie wal'iielani, alqahirat, misr.
o aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah @ wasunanih wa'ayaamuh (shih albukharii), muhamad bin 'iismaeil 'abu eabdallah albukhari, tahqiqu: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, ta1, 1422ha, dar tawq alnajaati, bayrut, lubnan.
o alhasbat fi al'iislami, 'aw wazifat alhukumat al'iislamiati, 'ahmad bin eabd alhalim bin taymiata, ta1, da.ti, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan .
o aldrar alkaminat fi 'aeyan almiayat althaaminati, 'ahmad bin eali bin muhamad bin 'ahmad bin hajar aleasqalani,

tahqiq : muhamad eabd almueid dani, altabeati: althaaniatu, 1392hi, majlis dayirat almaearif aleuthmaniati, haydar abad, alhind .

- zad almasir fi eilm altafsiri, jamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin eali bin muhamad aljuzi, tahqiq : eabd alrazaaq almahdi, altabeatu: al'uwlaa, 1422 ha, dar alkitaab alearabi, bayrut, lubnan .
- sir 'aelam alnubala'i, muhamad bin 'ahmad bin euthman bin qaymaz aldhahbi, tahqiqu: majmueat min almuhaqiqin bi'iishraf alshaykh shueayb al'arnawuwta, ta3, 1405hi, muasasat alrisalati, bayrut, lubnan.
- shih muslmin, muslim bin alhajaaj alqushayrii alniysaburi, tahqiq : muhamad fuaad eabd albaqi, du.ti, da.ti, dar 'iihya' alkutub alearabiat : faysal eisaa albabi alhalbi, alqahirat, misr .
- altabaqat alkubraa, muhamad bin saed bin maniye albaghdadi almaeruf biaibn saeda, tahqiqu: muhamad eabd alqadir eataa, altabeata: al'uwlaa, 1410 ha, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan .
- tabaqat almufasirin lildaawwdi, muhamad bin ealii bin 'ahmada, shams aldiyn aldaawwdii, du.ti, da.t , dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.
- tabaqat almufasirina, 'ahmad bin muhamad al'adunuh wi, sulayman bin salih alkhazi, ta1, 1417hi, maktabat aleulum walhikmi, almadinat alnabawiatu, alsaeudiatu.
- tabaqat alnahawiiyn wallughawyin, muhamad bin alhasan bin eubayd allah bin mudhhij alzubaydii

al'andalusi al'iishbili, tahqiq : muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, altabeatu: althaaniatu, da.t , dar almaearifi, alqahirat, misr .

- fath alqadir aljamie bayn faniyi alriwayat waldirayat min eilm altafsiri, muhamad bin eali bin muhamad alshuwkani, du.ta, da.t , dar alfikri, bayrut, lubnan.
- alqawl albayin al'azhar fi aldaewat 'iilaa allah wal'amr bialmaeruf walnahy ean almunkari, eabd aleaziz bin eabd allh alraajihi, ta1, 1412, dar aljalalayn .
- lbab altaawil fi maeani altanzili, eali bin muhamad bin 'iibrahim bin eumar alshiyhi 'abu alhasan, almaeruf bialkhazin, tashihu: muhamad eali shahin, t 1, 1415ha, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.
- allbab fi eulum alkitabi, 'abu hafs eumar bin eali aibn eadil aldimashqi alhanbali, tahqiqa: alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud walshaykh eali muhamad mueawad, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, ta1, 1419 hu.
- lisan alearbi, muhamad bin makram bin manzur al'afriqiu almisriu, ta1, da.tu, dar sadir, birut, lubnan.
- majmue alfatawaa, taqi aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin taymiat alharani, tahqiq : eabd alrahman bin muhamad bin qasima, du.ta, 1416hi, majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat alsaeudia

o mahasin altaawila, muhamad jamal aldiyn alqasimi, tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdi, ta1, 1418hu, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.
o almustadrak almustadrik ealaa alsahihayni, 'abu eabd allah alhakim muhamad bin eabd allah bin muhamad, tahqiqa: mustafaa eabd alqadir eataa, altabeata: al'uwlaa, 1411, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan .
o msnid al'iimam 'ahmad bin hanbal, al'iimam 'ahmad bin hanbal, tahqiq : shueayb al'arnawuwt - eadil murshid, wakhrun, 'iishrafi: d eabd allah bin eabd almuhsin alturki, altabeatu: al'uwlaa, 1421 ha, muasasat alrisalati, bayrut, lubnan .
o muejam almualifina, eumar rida kahalati, ta1, 1414hi, muasasat alrisalati, bayrut, lubnan.
o almuejam alwasita, ,majmae allughat alearabiati,('iibrahim mustafaa / 'ahmad alzayaat / hamid eabd alqadir / muhamad alnijar), du.ta, da.t , dar aldaewati, alqahirat, misr .
o muejam matn allughati, muejam matn allughati, 'ahmad rida, du.ta, 1380ha, dar maktabat alhayati, bayrut, lubnan.
o maqayis allughati, 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwinii alraazi, tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, 1399hu, dar alfikri, dimashqa, suria.
o musueat altafsir bialmathuri, markaz aldirasat walmaelumat alquraniat, almushrifun: musaeid bin sulayman altayaar - nuh bin yahyaa alshahri, altabeatu:

al'uwlaa, 1439, markaz aldirasat walmaelumat alquraniat bimaehad al'iimam alshaatibii- dar aibn hazma, bayrut, lubnan .

- wfiaat al'aeyan wa'anba' 'abna' alzamani, 'ahmad bin muhamad bin 'iibrahim bin 'abi bakr aibn khalkan albarmakiu al'iirbili, tahqiqu: 'iihsan eabaas, t 1, 1971, dar sadir, birut, lubnan.